تقديم

مما لا شك فيه أن دراسة المنسوجات لها أهمية بالغة فى معرفة التقدم الحضارى والانتعاش الاقتصادى لأى بلد من بلدان العالم وبذلك نستطيع القول أن دراسة مثل هذه الموضوعات الفنية والأثرية يعتبر فى واقع الأمر مكملاً للتاريخ الحضارى .

وما دام الأمر كذلك فقد كان على الباحثين والمؤرخين أن يتناولوا دراسة المنسوجات من نواحى متعددة منها دراسة المواد الخام التى صنعت منها ثم طرق صناعتها وأخيراً طرق زخرفتها .

وفى اعتقادى أن المراجع الفنية والأثرية قد وفت الكثير من هذه الموضوعات بالبحث والتحليل ، إلا أن هناك نوعاً خاصاً من أنواع زخرفة المنسوجات ونعنى التطريز لم يحظ بعناية الباحثين ولم يلتفت إليه المؤرخون وأغفلوا ذكره فى مراجعهم . بل أن الكثيرين منهم خلطوا بينه وبين طرق زخرفة المنسوجات الأخرى المتعددة ، وأغلب الظن أن السبب فى ذلك يرجع إلى عدم تخصص المؤرخين وكذا الأثريين فى هذه النواحى التطبيقية الدقيقة .

وإذا كان هذا هو حال المراجع الأثرية والتاريخية عامة فإن العربية منها تكاد تكون غفلاً من ذكر أى شئ فى هذا الميدان . ولو أضفنا إلى ما تقدم أنه لا يوجد فى العربية مؤلف واحد تناول دراسة فن التطريز من الناحية التاريخية والأثرية يمكن الاعتماد عليه فى تطوير الحديث على أساس من تراثنا القومى عبر العصور .

ولما كان فن التطريز من أوائل الفنون التى استخدمها الإنسان فى زخرفة لباسه بالإضافة إلى الأسباب السابق ذكرها فقد وقع اختيارى على التطريز فى العصر العثمانى .

وعلى الرغم من أن المنسوجات المطرزة فى العصر العثمانى وإن كانت معروفة بصفاتها المميزة المعروفة جيداً إلا أنها لم تأخذ حظها من الدراسة الوافية ، فقد نجد فى بعض الأحيان ذكراً للتطريز التركى ولكن لا يمكن اعتبار هذه المعلومات السطحية دراسات جادة يمكن الاعتماد عليها أو الأخذ بها فى الدراسات الأكاديمية وأول ذكر

واضح لها ذلك الذى ذكره بيلون الذى يعتبر أول من لاحظها خلال القرن السادس عشر وعلق على جمالها وصنعها الدقيق . فقد ذكر أنه من الطبيعى جداً أن يلقى فن التطريز الكثير من العناية والرعاية فى العصر العثمانى ذلك أن السيدة التركية كانت تعيش فى عزلة فى الحرملك ، وكان لديها القليل الذى تعمله ، ولذلك كانت تقضى وقتها فى شغل الإبرة .

أما عن دراستى لتاريخ فن التطريز فقد كان الطريق شاقاً غير ممهد ، ذلك كما ذكرت آنفاً أن جمهور المؤرخين غير متخصصين فى معرفة الطرق الصناعية والتطبيقية والفنية ولذلك فقد وجدت أن الاعتماد على كتب التاريخ بمفردها قد لا يهدينا إلى سواء السبيل ، لأن المؤرخ كان يعنى بالشكل الظاهرى أما الطريقة التطبيقية فلم تكن موضع اهتمامه .

لذلك فقد وجدت لزاماً على أن أبدأ السير من أول الطريق فاتجهت للأثريين والآثار الموجودة بالمتاحف المصرية والأجنبية على حد سواء وقمت بدراستها دراسة مستفضية وقرأت معظم ما كتب عنها فى بعض المراجع الأجنبية والعربية . وإتماماً للفائدة فقد رجعت إلى المخطوطات المصورة حتى أعرف أنواع اللباس التى كانت تزخرف بالتطريز فى العصر الذى أقوم بدراسته .

ولم أكتف بذلك بل حرصت على دراسة جميع الموضوعات الزخرفية وعناصرها التى كانت سائدة فى ذلك العصر ومن ثم فقد استطعت أن أعقد مقارنات صحيحة بين ما جاء منها على النسيج وعلى غيرها من التحف والمواد الأخرى .

وبعد هذه الدراسة المتشعبة المستفيضة فى النواحى التاريخية والأثرية والفنية استطعت أن أخرج بذخيرة وفيرة من التراث القومى يمكن أن يقام عليها صرح متين لفننا المعاصرة جميعاً وخاصاً فى فن التطريز .

أما عن المنهج الذى اتبعته فى إعداد هذه الدراسة فهو التاريخى الوصفى التطبيقى .

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة موجزة عن الحالة السياسية والاجتماعية والفنية فى العصر العثمانى . وأربعة أبواب :

الباب الأول : تناولت فيه الحديث عن النسيج الإسلامى فى العصر العثمانى وقد قسمته إلى فصلين .

الفصل الأول : وتحدثت فيه عن تاريخ النسيج قبل العصر العثمانى . وقبل أن أبدأ هذا الفصل تناولت أنواع المنسوجات السائدة خلال فترات التاريخ التى أبحث فيها . وفى الفصل الأول بينت أن تقاليد العرب ساعدت على تقدم صناعة النسيج فى العصور الوسطى . وأشرت إلى المدن المصرية الهامة التى اشتهرت بصناعة النسيج . وأشرت إلى منسوجات العصر الأيوبى والمملوكى .

أما الفصل الثانى : فقد تحدثت فيه عن تاريخ النسيج فى العصر العثمانى وبينت فيه ازدهار النسيج فى الإمبراطورية العثمانية . على أن هذا الفن قام على قواعد مستقلة مما جعله يتأثر من آن لآخر بالأساليب الشرقية والغربية .

الباب الثانى : تناولت فيه الحديث عن الزخارف المطرزة وقد قسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وتحدثت فيه عن الزخارف النباتية والهندسية ، وأوضحت أن الزخارف النباتية كانت من العناصر الهامة فى المنسوجات المطرزة فى العصر العثمانى. وأن الزخارف الهندسية كانت لا تكون موضوعاً مستقلاً .

الفصل الثانى : وتحدثت فيه عن الزخارف الحيوانية والآدمية وبينت أنها كانت قليلة جداً فى منسوجات العصر العثمانى .

الفصل الثالث : وتحدثت فيه عن الزخارف الكتابية وأشرت إلى أهميتها فى العصر الإسلامى . وبينت أن المنسوجات المطرزة كانت تحتوى أحياناً على أشرطة من الآيات القرآنية فى العصر العثمانى .

الباب الثالث : تناولت فيه الحديث عن التطريز فى العصر العثمانى وقد قسمته إلى ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وتحدثت فيه عن تاريخ التطريز فى العصر العثمانى وبينت فيه انتشار زخرفة المنسوجات بالتطريز .

الفصل الثانى : وتحدثت فيه عن المواد الخام التى استخدمت فى المنسوجات

المطرزة . فتناولت فيه الحديث عن الكتان الذى انتشر بكثرة ويكاد يكون سائداً فى معظم تطريزهم . والصوف والحرير والقطن .

الفصل الثالث : وتحدثت فيه عن أنواع غرز التطريز التى كانت سائدة فى العصر العثمانى . وأوضحت كل غرزة على حدة .

الباب الرابع : تناولت فيه الحديث عن فن التطريز وتطويره فى العصر الحديث . وقد قسمته إلى فصلين :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن الأسلوب الزخرفى وقد استنبطت بعض الزخارف من تراثنا القومى وطورتها إلى الحديث .

الفصل الثانى : وتحدثت فيه عن الأسلوب التطبيقى . وقد قمت بتطريز بعض القطع من الزخارف التى استنبطتها بأسلوب حديث .

وقد أخذ منى إعداد هذا الكتاب وقتاً وجهداً كبيرين . وقد جمعت المادة العلمية والصور والرسوم من المصادر الأصلية والمتاحف والمراجع والمعاجم العربية والأجنبية .

وأرجو أن أكون قد وفقت فى تقديم هذا الكتاب والذى يضم العديد من لوحات للأقمشة المنسوجة والمطرزة وأساليب التطريز المختلفة إلى جانب الأشكال حتى يكون مرجعاً علمياً متخصصاً . وخاصة بعد أن تشعبت الكليات التى تقوم بدراسة هذه التخصصات .

فإلى طلاب كليات الاقتصاد المنزلى وأقسام الملابس والنسيج بجامعة حلوان وجامعة المنوفية وجامعة الأزهر وكلية الفنون التطبيقية وكلية البنات جامعة عين شمس وكليات التربية النوعية . والكليات المتناظرة بالدول العربية . إلى كل هؤلاء أقدم هذا الكتاب . وأرجو أن يكون إضافة إلى المكتبة العربية بصفة عامة والمتخصصين فى هذا المجال بصفة خاصة .

والله الموفق .